**دراسة الحالة 33**

**اتفاقية التراث العالمي واتفاقية التراث غير المادي: مصطبات الأرزّ في سلسلة جبال الفلبين وأغاني الهدهد الخاصة بجماعة إيفُجاو (Ifugao) في الفلبين[[1]](#footnote-1)**

أُدرجت مصطبات الأرزّ في سلسلة جبال الفلبين في قائمة التراث العالمي في عام 1995 وفي قائمة التراث العالمي المعرّض للخطر في عام 2001. وتقع المصطبات التي تُستخدم لزراعة مختلف أنواع المحاصيل، ومنها الأرزّ، في سلسلة جبال جزيرة لوزون في الأرخبيل الفلبيني. وأُدرجت أغاني الهدهد التي تردّدها جماعة إيفُجاو التي تزرع المصطبات في المنطقة في القائمة التمثيلية لاتفاقية التراث غير المادي في عام 2008، بعد أن كانت قد أُعلنت من روائع التراث الشفهي وغير المادي للبشرية في عام 2001.

إنها إحدى الحالات النادرة التي ترتبط فيها ممتلكات وعناصر التراث المُدرجة في قائمة اتفاقية التراث العالمي وفي قائمة اتفاقية التراث الثقافي غير المادي على التوالي ارتباطاً وثيقاً. وتُعتبر أغاني الهدهد عنصراً مهماً من عناصر التراث الثقافي غير المادي للذين يزرعون مصطبات الأرزّ ويحافظون عليها. فالمصطبات والمنطقة المحيطة بها تمثل المساحة الثقافية التي تُنشد فيها الأغاني. وتتوافر اليوم هياكل إدارية تتيح اعتماد منهجية متكاملة لحماية المصطبات وصون التراث الثقافي غير المادي الخاص بجماعة إيفُجاو على حدٍ سواء. وقد تشجّع هذه المنهجية المتكاملة جماعة إيفُجاو على البقاء في المنطقة والاستمرار في زراعة المصطبات والمحافظة عليها، مع إنشاد أغانيها وتكييفها مع الظروف المتغيّرة.

ومن المرجّح أن يجري البحث في المستقبل، في إطار تطبيق الاتفاقيتين، عن منهجيات متكاملة للمحافظة على التراث المادي وصون التراث غير المادي في حالات كهذه، في مرحلةٍ مبكرة.

**إدراج مصطبات الأرزّ في سلسلة جبال الفلبين في قائمة التراث العالمي**

أُدرجت مصطبات الأرزّ في سلسلة جبال الفلبين في قائمة التراث العالمي كمنظر طبيعي ثقافي لأنها تفي بالمعايير التالية التي تؤكد وجود قيمة عالمية استثنائية:

* **المعيار (3):** تشهد مصطبات الأرزّ بامتياز على قيام نظام مستدام وجماعي بصورة أساسية لإنتاج الأرزّ، مبني على جمع المياه من قمم الجبال المكسوّة بالغابات وبناء مصطبات حجرية وبرك، وهو نظام قائم منذ ألفي سنة.
* **المعيار (4):** تُعد مصطبات الأرزّ نصباً تذكارياً يشهد على تاريخ أجيال من المزارعين الصغار الذين عملوا معاً كجماعة واحدة لإنشاء منظر طبيعي عبر استخدام دقيق ومستدام للموارد الطبيعية.
* **المعيار (5):** تُعتبر مصطبات الأرزّ مثالاً استثنائياً عن استخدام الأراضي الناتج عن تفاعل متناغم بين الأفراد وبيئتهم، مما أفضى إلى إنتاج منظر طبيعي فائق الجمال يتميّز بمصطبات منحدرة، وبات اليوم معرّضاً لتغييرات اجتماعية واقتصادية.

وفي حين تغطّي المصطبات التاريخية مساحةً واسعةً، وفى الممتلك الأصغر المُدرج في القائمة بمعيار السلامة لأنه "يتضمّن خمس مجموعات من المصطبات الأكثر سلامةً وإثارة للإعجاب، تقع في أربع بلديات". وقد أتاحت ممارسات التراث الثقافي غير المادي المرتبطة بالمصطبات ضمان أصالة هندسة المنظر الطبيعي الأصلي والزراعة التقليدية للأرزّ المروي، من خلال نظام إدارة تقليدي "يحقّق التوازن ما بين العناصر المناخية والجغرافية والبيئية والزراعية والإثنوغرافية والدينية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية وعناصر أخرى". وقد تناقلت جماعة إيفُجاو هذا النظام وحافظت عليه "من خلال الممارسات والأناشيد والرموز الطقسية".

**المحافظة على مصطبات الأرزّ**

اتُّخذت خطوات عدّة للمحافظة على موقع التراث العالمي هذا. وفي عام 2001، أُدرجت المصطبات في قائمة التراث العالمي المعرّض للخطر لأن اللجنة رأت أن الأفراد كانوا يهاجرون من المنطقة وأنه لم تتم المحافظة على أنظمة الريّ. وكان قد جرى التخلّي عما يتراوح بين 25 و30 في المئة من المصطبات وقد لحقت أضرار ببعض جدرانها[[2]](#footnote-2). (جرى انتقاد هذا التحليل لاحقاً، فقيل إن المصطبات تحتاج إلى تصليح مستمرّ وأن عدد السكان المحليين هو في تغيّر دائم).

وبحلول عام 2008، ساهمت عدة مبادرات في إصلاح 42 نظاماً من أنظمة الري الجماعية[[3]](#footnote-3). وأُنشىء أيضاً مجلس مقاطعة إيفُجاو للتراث الثقافي ليُشرف على صون التراث الثقافي المادي وغير المادي وعلى تعزيزه في المقاطعة. وأجريت دراسات حول كيفية إدارة متطلبات البنى الأساسية وحشد الموارد المالية. ووفقاً للتقديرات التي جاءت في مسحٍ أجري بواسطة نظام المعلومات الجغرافية في عام 2009، كان حوالى 4٪ من مصطبات الأرزّ في المنطقة التراثية متضرراً.[[4]](#footnote-4)

وفي عام 2009، نوّهت اللجنة "بالجهود المبذولة لتثمين ونقل الممارسات التقليدية التي تثبت القيمة العالمية الاستثنائية للممتلك".[[5]](#footnote-5) وقامت بعثة رصد مشتركة ضمّت ممثلين عن مركز التراث العالمي، والمجلس الدولي للآثار والمواقع (ICOMOS)، والاتحاد الدولي لصون الطبيعة (IUCN)، بمراجعة حالة الممتلك في عام 2011.

وقد أبقي هذا الممتلك في قائمة التراث العالمي المعرّض للخطر من أجل تنفيذ برنامجٍ ثابت لحفظ المصطبات وأنظمة الريّ ومستجمعات المياه، واعتماد سياسات حفظ على المستوى الوطني.[[6]](#footnote-6)

**إعلان أغاني الهدهد الخاصة بجماعة إيفُجاو من الروائع وإدراجها في القائمة التمثيلية**

أُعلنت أغاني الهدهد، التي تردّدها جماعة إيفُجاو خلال حصاد الأرزّ وإزالة العشب الضار والسهر على جثامين الموتى قبل دفنها ومراسم تكريم الموتى، من الروائع في عام 2001، وأُدرجت في القائمة التمثيلية لاتفاقية التراث الثقافي غير المادي في عام 2008. وقد وفت هذه الأغاني بمعايير الروائع لأن "لها جذور في التقاليد الثقافية أو التاريخ الثقافي" الخاص بجماعة إيفُجاو، من بين أمور أخرى، ولأنها "وسيلة لتأكيد الهوية الثقافية" لهذه الجماعة. واعتُبرت أيضاً معرّضة "لخطر الانحلال أو الاختفاء". ولا بدّ إذن من تقديم الدعم إلى القلّة المتبقية من الرواة، الذين بلغوا اليوم من العمر عتيا، في جهودهم لنقل معارفهم ونشر الوعي في أوساط الشباب.

**صون الأغاني**

منذ أن أُعلنت الأغاني من الروائع في عام 2001، نُفّذت أنشطة صون مختلفة لحفظها. وقد أُنشئت في عام 2001 لجنةٌ وطنية للتراث غير المادي (NCCA/IHC) وضعت خطة عمل بالتعاون مع لجنة استشارية محلية في كيانغان (Kiangan) في مقاطعة إيفُجاو.

وأنشئت في عام 2004 لجنةٌ فرعية للتراث غير المادي في إيفُجاو تضم ممارسي أغاني الهدهد الذين يمثلون خمس بلديات من إيفُجاو،إلى جانبممثلين عن المتحف الوطني ومكتب حاكم إيفُجاو. واضطلعت هذه اللجنة الفرعية بمهمّة تطوير الخطة المقترحة وتنفيذها. وتخطط اللجنة التنفيذية للتراث غير المادي في إيفُجاو حالياً لنقل برامج التراث الثقافي غير المادي ودمجها ومأسستها ضمن البرامج الثقافية المقاطعية في إيفُجاو.

وترمي تدابير الصون المنفّذة منذ عام 2001 إلى ما يلي:

* تشجيع الممارسين على الاستمرار في إنشاد أغاني الهدهد؛
* إتاحة الفرص لإنشاد الأغاني؛
* تدريب شباب جدد من إيفُجاو على إنشاد الملحمة.

وتشمل تدابير الصون المنفّذة حتى اليوم ما يلي:

1. التوعية من خلال تنظيم مسابقات إنشاد للراشدين والشباب. وقد نُظّمت هذه المسابقات في المقاطعة منذ عام 2002، وبات اليوم مهرجان الهدهد الذي يشمل المسابقات هذه حدثاً سنوياً؛
2. الاعتراف بالممارسين وتكريمهم من خلال منحهم جوائز تقديرية مُختارة لحمَلة الثقافة؛
3. وضع دليل خاص بحمَلة التقاليد الثقافية ضمن الجماعة (بمساعدة فريق من باحثي إيفُجاو)، لا يقتصر فقط على منشدي الملاحم وإنما يشمل أيضاً المتخصّصين في الطقوس والشُفاة والعرّافين والنسَّابين وخبراء "*سالفيا*" (أي علم الأنساب) والموسيقيين والحرفيين والفنّانين؛
4. إتاحة المزيد من الفرص لإنشاد الأغاني: أُطلقت مسابقة جائزة الهدهد الدائمة لتشجيع إنشاد الأغاني خلال الحصاد والسهر على جثامين الموتى قبل دفنها ومناسبات تقليدية أخرى. وتنال البلديات والممارسون الجوائز للأناشيد المردّدة في البيئة الثقافية والاجتماعية التقليدية. وتستخدم البلديات جوائزها لتمويل أنشطة الصون المرتبطة بتراث إيفُجاو الثقافي غير المادي؛
5. تدريب الشباب على تعلّم الأغاني من خلال إنشاء مدارس الهدهد غير الرسمية للتقليد الحيّ (HSLT) في مناطق رئيسية، وهي مدارس يعلِّم فيها ممارسو الهدهد. وبحلول عام 2011، كانت وزارة التعليم في المقاطعة قد أنشأت هذا النوع من المدارس غير الرسمية في 33 مدرسة؛
6. دمج تعليم أغاني الهدهد، إلى جانب الرقصات والأغاني الأخرى والألعاب والرياضات التقليدية الخاصة بإيفُجاو، بشكلٍ دائم في المناهج الدراسية في المدارس الابتدائية. وقد وُضع دليل للمدرّسين لتدريس الهدهد، وجرى انتاج مجموعة الهدهد التعليمية المتعددة الوسائط لتوزّع في المكتبات والمدارس والمنظمات الثقافية والوحدات الحكومية المحلية وغيرها؛ وقد نُشرت أيضاً كتب للأطفال لتشجيع جيل الشباب في إيفُجاو على تعلّم مختلف أنواع أغاني الهدهد.

**لمزيد من المعلومات، انظر:**

* www.unesco.org/culture/ich/en/RL/00015
* http://whc.unesco.org/en/list/722

1. لا بدّ من توجيه الشكر إلى سيسيليا بيكاش والدكتور خيسوس ت. بيرالتا لمساعدتهما في دراسة الحالة هذه، وهما غير مسؤولين عن أي أخطاء محتملة فيها. [↑](#footnote-ref-1)
2. انظر: WHC-01/CONF.208/24 VIII.112: http://whc.unesco.org/archive/repcom01.htm#riceterraces [↑](#footnote-ref-2)
3. انظر: WHC 08/Decision – 32COM 7A.24: http://whc.unesco.org/en/decisions/1596& [↑](#footnote-ref-3)
4. N.C. Bantayan et al., 2009, ‘Community-Based Mapping of the Rice Terraces Inscribed in the UNESCO World Heritage List. Component study of the project 65, See WHC 09/Decision – 33COM 7A.24: <http://whc.unesco.org/en/decisions/1784> [↑](#footnote-ref-4)
5. انظر: WHC 09/Decision – 33COM 7A.24: http://whc.unesco.org/en/decisions/1784 [↑](#footnote-ref-5)
6. انظر: WHC 11/Decision – 35 COM 7A.28: http://whc.unesco.org/document/1071 [↑](#footnote-ref-6)